

أهمية الكتاب والمطالعة

المكان: طهران

الزمان: 1390/4/29 ش. 1432/8/18 هـ. 2011/7/20 م.

الحضور: مدراء المكتبات العامة وأمنائها

بسم الله الرحمن الرحيم

أهلاً ومرحباً بكم كثيراً أيها الإخوة والأخوات الأعزاء من العاملين في مجال الكتاب. الجلسة هذه جلسة ثقافية مائة بالمائة، وقد كان هدفي الأول من إقامتها واللقاء بكم أيها الإخوة والأخوات الأعزاء أن أقدم الشكر لجهود مدراء المكتبات وأمنائها في كافة أنحاء البلاد للأعمال الكبيرة والمهمة التي تقومون بها، والهدف الثاني هو في الواقع التعبير رمزياً عن احترام الكتاب ومطالعة الكتب وأهمية الكتاب في المجتمع.

كلما تقدمنا أكثر ازدادت حاجتنا للكتاب. أن يتصور شخص أن ظهور وسائل الاتصال الجمعي الحديثة سوف يفرض على الكتاب العزلة فهذا خطأ. الكتاب يزداد أهمية في المجتمع البشري يوماً بعد آخر. الميزة الأهم للأدوات والوسائل الحديثة هي نقل الكتب ومضامينها ومحتوياتها بسهولة أكبر. لا شيء يمكنه أن يحل محلّ الكتاب.

إذا أردنا التكامل لنا جميعاً من الناحية الفكرية ومن حيث التجارب والأذواق والفنون فيجب علينا تقوية أواصرنا بالكتاب. الكتاب مجموعة من المنتجات الفكرية والأذواق والفنون.. مجموعة من اكتشافات إنسان أو عدة أشخاص. علينا أن نغتنم بجد فرصة انتفاعنا من النتاج الفكري لأي إنسان. وهذا ما يقدمه ويهديه لنا الكتاب. هذه هدية الكتاب لنا. لذا فالكتاب ظاهرة وموجود ذو قيمة كبيرة. كان كذلك دائماً وسيكون كذلك في المستقبل أيضاً. لذلك ينبغي الاهتمام بالكتاب.

والاهتمام بالكتاب يقوم في الواقع على الاهتمام بمطالعة الكتاب. ينبغي إشاعة تقليد مطالعة الكتاب في المجتمع. هذه هي الفائدة المتوخاة من تعلم القراءة والكتابة. تأثيرات الحركة والنهضة التي تطلق في البلدان لاستتصال الأمية هي أن يستطيع الأفراد الاستفادة من ما تقدمه لهم أفكار الآخرين وأذواقهم ومواهبهم. وهذا غير متاح من دون مطالعة الكتب. أعتقد أن من أسوأ أنواع الكسل وأفدحها خسارة هو الكسل في قراءة الكتب. وكلما أفسح الإنسان المجال لهذا النوع من الكسل كلما استحوذ عليه أكثر. ينبغي ترويج مطالعة الكتاب في المجتمع. وهذه المهمة تقع على عاتق جميع الأجهزة والمؤسسات المسؤولة في هذا المضمار، ابتداء من المدارس الابتدائية - حيث يجب أن تكون هناك برامج لأطفالنا تعودهم منذ طفولتهم على قراءة الكتب بتدبير وتحقيق وتأمل - إلى وسائل الاتصال الجمعي، إلى الإذاعة والتلفزيون إلى الوسائل الإعلامية المختلفة.

من الأعمال الكبيرة والمهمة على مستوى المجتمع أن تكون الدعاية لمطالعة الكتاب شاملة واسعة. نرى اليوم أن أصحاب البضائع قليلة الأهمية وعديمة التأثير في حياة البشر يطلقون لها دعاية وإعلاماً ملوناً عجيباً غريباً يحتل مكانه في وسائل الاتصال العامة والصحافة والإذاعة والتلفزيون، والحال أن تلك البضائع غير ضرورية أبداً ولا لزوم لها وتعدّ أشياء إضافية وزائدة في الحياة، وجودها قد يكون مفيداً أحياناً وقد لا يكون مفيداً في بعض الأحيان، بل ربما كان مضراً. ونتاج بعظمة الكتاب وقيمه جدير أن تعمل له دعاية وإعلام ويشجع المستطيعون على قراءة الكتاب، يجب أن نجعل هذا الأمر عادة جارية.

وأقولها لكم إننا غير راضين عن ما في بلادنا وفي مجتمعنا من واقع قائم في هذا الخصوص. صحيح أن حجم الكتب التي يتم إنتاجها حالياً يختلف عن الماضي اختلافاً كبيراً، والكتب تنشر أحياناً بأضعاف مضاعفة، أو أن عدد نسخ كتاب من الكتب يرتفع كثيراً، لكن هذا لا يكفي، فهذا قليل جداً بالنسبة لبلادنا. يجب أن يحتل الكتاب نصيباً مقبولاً في لائحة استهلاك العوائل، وأن يشتري الناس الكتاب لقراءته لا لتجميل غرفة المكتبة وديكورها واستعراضه على هذا وذاك. هذه نقطة تتعلق بمطالعة الكتاب في المجتمع.

ونقطة أخرى تتعلق بالمكتبات. أمناء المكتبات يتحملون في هذا الصدد جهوداً ومتاعب كبيرة، وهم المتصدون مباشرة لهذه المهام. كنت ألاحظ دور أمناء المكتبات عن كذب منذ حدثني حينما كنت أراجع المكتبات العامة. كنت أقصد مكتبة الروضة الرضوية المقدسة وأرى الدور الذي

يمارسه الأمانة هناك وما يبذلونه من جهود وما يتميزون به من إخلاص. أمانة المكتبات بجد ذاتها من الأعمال الإنسانية الثقافية المميزة، بيد أن أمين المكتبة ليس مجرد ذلك الشخص الذي يتولى خدمة المحييء بالكتاب وإعطائه للمراجع، إنما بوسع أمين المكتبة أن يكون مصدراً ومرجعاً لتوجيه الراغبين في مطالعة الكتب.

من الأعمال المهمة أن نعوّذ الذهن على النظام في المجتمع. أحياناً إذا كانت مراجعة كتاب معين في محلها أي إذا تمت قبل قراءة هذا الكتاب الكتب الأخرى المناسبة للموضوع لكان تأثير ذلك أكبر وأعمق بكثير مما لو قرئ ذلك الكتاب دون ملاحظة ما يرتبط به. وهذا بحاجة إلى توجيه طبعاً.

بعض الذهنيات ذات قابلية كتابية، بيد أنها تميل إلى الكتب السهلة التي لا تحتاج إلى تفكير. لا إشكال في ذلك، فهذه أيضاً مطالعة كتب، ولا نرفضها، غير أن الأفضل من هذه الطريقة في مطالعة الكتب هو أن يمزج الإنسان في مطالعته بين الكتب السهلة – الرواية مثلاً أو الخواطر أو الكتب التاريخية السهلة – والكتب التي تحتاج إلى تفكير ودراسة. ينبغي إشراك هذا النوع من الكتب في عملية المطالعة، وتعويد الذهن على التأمل والتدقيق، وأن يعمل الذهن ويبذل جهداً وطاقته حيال الكتاب. وهذا بحاجة إلى توجيه.

من الأمور التي نحتاج إليها اليوم أمس الحاجة برامج المطالعة لمختلف الشرائح. يحدث مراراً أن نرغب الشباب والأحداث في مطالعة الكتب فيراجعون ويقولون: ماذا نقرأ؟ ليس لهذا السؤال إجابة واحدة، وربما كانت له إجابات متعددة. يجب على العاملين في شؤون الكتاب – كوزارة الإرشاد ومنظومة المكتبات – العمل على هذه المسألة بجد، وأن يوجدوا سياقات مطالعاتية لمختلف القطاعات ولشتى الشرائح وأشكال مختلفة وبالتنوع المناسب.. يبدأوا أولاً من هذا الكتاب، ثم هذا الكتاب، ثم ذاك الكتاب. حينما يدخل الشاب أو الحدث أو الشخص الذي لم يكن لحد الآن من قراء الكتاب ويبدأ مسيرته فغالباً ما سيستطيع بهذه الطريقة أن يجد طريقه. هذه أيضاً نقطة.

نقطة أخرى هي انتخاب الكتاب وانتقاؤه. الكتاب حصيلة أفكار شخص وعقليته وتجاربه وفنونه وذوقه، أو هو من إنتاج عدة أشخاص عملوا على إعداده وإنتاجه. ليس كل كتاب مفيداً

بالضرورة، وليس أي كتاب غير ضار. بعض الكتب مضرّة. المنظومة العاملة في شؤون الكتاب لا يمكنها اعتماداً على فكرة أننا نترك المجال حراً والناس هم الذين ينتخبون، لا يمكنها اعتماداً على هذه الفكرة أن تسمح لأي كتاب ضار بالدخول إلى سوق الكتاب والمطالعة - كما أن الأدوية المسمومة والأدوية الخطيرة والأدوية المخدرة لا تسمح الجهات المختصة للكل باستخدامها دون قيد أو شرط، بل يبعدونها عن تناول الأيدي ويحذرون منها أحياناً - فهذا طعام معنوي، وإذا كان فاسداً أو مسموماً أو مضرّاً فليس من حقنا بصفتنا ناشرين أو أمناء مكتبات أو مدراء مكتبات أو مسؤولين عن التوزيع - بأي عنوان نرتبط من خلاله بالكتاب - أن نضع هذه الأشياء تحت تصرف أفراد غير واعين وغير فطنين. ولهذا الأمر في الفقه الإسلامي فصله الخاص. إذن يجب المراقبة والحذر. ينبغي توفير الكتب الجيدة السليمة. ويجب التنبيه أكثر من أي شيء آخر إلى أن هذا الكتاب يستطيع توفير التربية الفكرية وعرض الدرب الصحيح. إذن، من الضروري الاهتمام بهذه النقطة في برامج المطالعة.

إننا كشعب إيران وباعتبارنا شعباً مسلماً لنا بالكتاب صلة أساسية وعميقة وعريقة. لم نتعرف على الكتاب اليوم أو أمس. في بلادنا، وخصوصاً بعد انتشار الإسلام، كان للمكتبات الضخمة والجامع العلمية والمكتوبات القيمة سابقتها التاريخية العريقة. إننا شعب له أواصره القوية جداً بالكتاب. كانت لنا طوال القرون المتمادية صحبتنا للكتاب. وبالطبع لم يكن الحصول على الكتاب يسيراً في تلك العهود، وكان استنساخ الكتب الخطية عملية صعبة، ومع ذلك فإن المؤهلين كانوا جديرين بالانتفاع من الكتاب، ولطالما جاهدوا وتعبوا من أجل ذلك. قرأنا وسمعنا كراراً أن البعض كانوا بحاجة إلى كتاب، وكان صاحب الكتاب يبخل ولا يعطيه، فيضطرون للتوسل ويحصلون عليه ليلية أو ليلتين كأمانة، فيبقون هذه المدة لا ينامون ولا يستريحون من أجل أن يستنسخوا هذا الكتاب وتكون لهم منه نسخة. الأحداث من هذا القبيل كثيرة جداً. وقد زالت مثل هذه الموانع اليوم حيث أدى تقدم العلم إلى إنتاج الكتاب واستنساخه ونشره بسهولة. علينا اليوم وفي ضوء هذه السوابق العريقة أن نرفع من مكانتنا في نشر الكتاب والاستفادة منه.

وعلى منتجي الكتاب أيضاً التنبيه إلى هذا المعنى. في إنتاج الكتاب - سواء كان الإنتاج بمعنى إيجاد الكتاب أو بمعنى ترجمته أو بمعنى نشره وتوزيعه على هذا وذاك - يجب أن ينظروا إلى

احتياجات المجتمع وثغراته. يجب أن يعرفوا الفراغات والاحتياجات الفكرية، وينتخبوا الكتاب على ضوء ذلك. نلاحظ أحياناً في خصوص الكتاب وسوق الكتاب أن التوجيه يشوبه شيء من الانحراف. يقصدون خصوصاً الأمور الضارة لذهنية المجتمع وذهنية البلاد إن من الناحية الأخلاقية وإن من النواحي الدينية والعقدية وإن من الجانب السياسي. يرى المرء بوضوح أن هناك في سوق الكتاب وشؤونه أيد ناشطة تستورد بعض الأشياء وترجم بعض الأشياء لأغراض سياسية وبظواهر ثقافي لكن باطنها سياسي.

وأقولها لكم: الكثير من الأمور التي تشاع ضمن الإطار الثقافي في بلادنا من قبل الأجانب والأعداء ومعارضى الإسلام والنظام الإسلامى ظاهرها ثقافي لكن باطنها سياسي. هذا ما يشاهده المرء. منظومة العاملين في مجال الكتاب- سواء أنتم أمناء المكتبات أو مدراء المكتبات أو المسؤولون في وزارة الإرشاد أو الناشرون المحترمون أنفسهم - يجب أن يتفطنوا وينتهوا إلى ضرورة نشر مواد غذائية معنوية سليمة ومفيدة ومقوية في المجتمع. من حسن الحظ أن مستوى التعليم وإمكانية الاستفادة من الكتاب حالياً رفيع وواسع، وينبغي الانتفاع من هذه الإمكانية.

أريد في هذه الجلسة التي أقيمت اليوم أن أدعو إلى تجديد في مسائل الكتاب والمطالعة والكتاب الجيد المفيد السليم.. ليبدأ جميع المسؤولين في البلاد الحركة ابتداء من الذين يرمجون إلى الذين ينتجون إلى الذين يدعون ويبلغون إلى مخاطبي الكتاب، الشباب وغير الشباب ممن يقرأون الكتاب لتكن لنا نظرة جديدة. أعداد النسخ التي تبلغ الألف والألفين والثلاثة آلاف وما إلى ذلك لا تناسب بلدنا ذا الخمسة وسبعين مليون نسمة بكل هؤلاء الشباب وبكل هذه المحفزات التي فيه. يجب أن تكون أعداد النسخ أكثر من هذا بكثير. في بعض الحالات يشاهد المرء لحسن الحظ أن مرات إعادة طبعة الكتاب كثيرة جداً، لكن حينما نلاحظ المسألة على العموم نجد مع ذلك أن الواقع غير مرض وغير مقنع، ولا بد من إطلاق حركة.

على كل حال أقدم شكري لمنظومة المسؤولين عن شؤون الكتاب، وأرجوهم في نفس الوقت أن ينظروا لقضايا الكتاب بجد أكبر. لنعمل ما من شأنه أن تصبح المطالعة أمراً شائعاً وأن لا يسقط الكتاب من أيدي الشباب. حين يقال أن معدل مطالعة الكتب خلال الأربع وعشرين ساعة لكل فرد كذا وكذا فهذه إحصائيات غير مرضية ويجب أن يكون الأمر أكثر من هذا بكثير. الإنسان لا يستغني عن الكتاب أبداً. منذ فترة حدثته وبداية تعليمه إلى آخر عمره يحتاج الإنسان

للكتاب ويحتاج إلى إدراك الأمور واجتذاب المواد الغذائية المعنوية والروحية والفكرية.. هذا ما يجب أن يُفهم ويُتابع ويُعمل له على مستوى عموم المجتمع.

نسأل الله تعالى أن يوفقكم ويؤيدكم. إننا نشكر جهودكم ومساعدتكم. نحن مرتاحون لما يحصل ونتوقع منكم أن تزيدوا ما تقومون به إن شاء الله أضعافاً مضاعفة. أعانكم الله وشملكم بأدعية إمامنا بقية الله (أرواحنا فداه) إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.